ضرورة التمييز بين الحداثيين والأحداثيين (*)

منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، خفتت وأفلت بعض المصطلحات والشعارات ، وسطعت وراجت مصطلحات أخرى كانت أقل تداولا ورواجا . فقد توارت وخفتت مصطلحات : التقدمية ، والثورية ، والاشتراكية ، والصراع الطبقي والرجعية والإمبريالية ... بينما قفزت إلى التداول اليومي المكثف شعارات ومصطلحات : الحداثة ، والديمقراطية ، وحقوق الإنسان ...

والحقيقة أن هذا التغير في المصطلحات والشعارات المعتمدة ، يعكس تطورا فكريا وثقافيا وسياسيا إيجابيا يرمي إلى التخلص من « الخردة » (١) الإيديولوجية والعقائدية البائرة ، بحثا عن صيغ ومضامين أكثر واقعية وأكثر براجماتية وأكثر قبولا في المجتمع المغربي .

وفعلا ، فإن الحداثة والتحديث ، والديمقراطية والدمقرطة ، وحقوق الإنسان وكرامة الإنسان ، ودولة الحق والقانون ، والعدالة والتنمية ، ومحاربة الفساد وتخليق الحياة العامة ... هذه الشعارات التي تمثل عناوين السنين العشر الأخيرة ، هي شعارات ومضامين وأهداف لا نزاع فيها ولا اختلاف حولها إلا في بعض التفصيلات والجزئيات والشكليات . فنحن نرى أن هذه الشعارات الجديدة والمبادئ الجديدة أصبحت قاسما مشتركا بين مختلف المدارس والتوجهات الفكرية والسياسية .

(*) قرر المكتب التنفيذي صيف ٢٠٠٤ الرد على صحيفة الأحداث المغربية بسلسلة من المقالات انتدب لها بعض الكتاب ، وشارك الريسوني فيها بهذا المقال ومقالات أخرى .

(١) استعمال هذا التعبير المفكر الأستاذ محمد سبيلا (أستاذ الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالرباط) .

فالحكومات المتعاقبة في هذه الفترة ، واليساريون ، والليبراليون ، والإسلاميون والأمازيغيون .... الجميع يلتقون حول هذه المبادئ ، والجميع يقبلون ويتمسكون بعنوانها الجامع « الحداثة والتحديث » .

ويتفرع عن هذه الحداثة إقامة صروح أساسية وضرورية لا بد منها في كل نهضة وتحديث : التعليم الناجح الفعال ، والبحث العلمي المبدع ، محو الأمية ، الارتقاء بالوضع الثقافي ، حل معضلة البطالة ، بناء اقتصاد قوي ومنتج ، تحرير الإعلام والصحافة وإعطاؤهما ما يلزم من الحرية والدعم ، بناء مؤسسات ديمقراطية نزيهة ، إدارة سليمة في خدمة الوطن والمواطن ...

هذا ما يمكن أن نسميه « الخيار الحداثي الوحدوي » أو « الخيار الحداثي الجامع » ، وداخل هذا السقف الجامع لتيارات عدة ، يمكن أن يقع الاختلاف والنقاش والتدافع ، حول قضايا وإشكالات وتفصيلات كثيرة يتفاوت الناس في تقديرها وترتيبها ، ويتنافسون في حسن تنزيلها وتطبيقها وتحقيقها ، وكل هذا طبيعي ومفيد وبناء .

ما يشوش اليوم على هذا « الخيار الحداثي » ويسعى إلى تشتيته وتشويهه هو ما يمكن أن نسميه « الخيار الأحداثي »[1] .

أصحاب « الخيار الأحداثي » يظنون – هم واهمون – أن رسالتهم المقدسة هي محاربة التيار الإسلامي ونسفه واستئصاله . ولكنهم في الحقيقة إنما يشوهون الحداثة والحداثيين والديمقراطية والديمقراطيين ، بسبب إصرارهم على الانتساب إلى هذه المبادئ النبيلة ، وهم أعدى أعدائها وأخطر الناس عليها . لقد جعلوا من « الحداثة » التي يمثلونها مجرد نزعة عدائية استئصالية ، وجعلوا من صحيفتهم مجرد أداة

---

(١) نسبة إلى جريدة « الأحداث المغربية » وتيارها الاستئصالي .

تحريض ووشاية وتهديد وإرهاب فكري وسياسي . وجعلوا نموذجهم المجتمعي الأحدائي ، هو عولمة الدعارة والشذوذ الجنسي وكافة الموبقات والرذائل .

صحيح أن أصحاب « الأحداث » هم أشخاص أحداث وأفراد معدودون ، ولكن المشكلة أنهم جعلوا جريدتهم ناطقا رسميا باسم الحداثة والحداثيين ، بل نصبوا أنفسهم دركا على كافة الحداثيين والتقدميين ، يردعون ويقمعون كل من خالفهم وحاد عن نهجهم .

فمتى يتحرك الحداثيون الحقيقيون لوقف الأحداثيين التحريفيين عند حدهم وتبرئة الجسم الحداثي منهم ؟

٢٠٠٨/٨/٢٥ م

*****